مقال أعجبني!

مقال أعجبني جداً لدكتور اسمه خالد المنيف، ولمست فيه أسلوباً جديداً قلّما انتبه إليه المثقفون والدارسون، اقتطفت لكم من من مقاله ما قد يغيّر ولو جزءاً يسيراً من حياتكم؛ «أو» قد يذكّركم بأحد المواقف المماثلة التي مررتم بها وخانكم التعبير حينها: «صادف في إحدى الدورات «ذات الرسوم المرتفعة جداً» التي حضرتها أن أجلسني المنظمون في طرف القاعة الغاصة بالمتدربين، وقد كان موقعاً في غاية السوء حيث بالكاد كنت أرى المدرب، وفوق هذا كنت في مواجهة تيار هوائي بارد وعنيف، وبعد لحظات من جلوسي أحسست بثقل في رأسي وألم في أطرافي، والمشكلة أننا لازلنا في بداية الدورة التي ستمتد لأكثر من خمس ساعات، الجميع متحفزون ومتفاعلون مع المدرب المشهور إلا الفقير لعفو ربه فهو في كبد لا يعلمه إلا الله! والمصيبة أني كنت أوزع الابتسامات على من يجاورني ولسان حالي يقول: لا تحسبوني أرقصُ بينكم طرباً... فالطيرُ يرقصُ مذبوحاً من الألمِ هل أتصبرُ وأُجاهد وأكتم ما بداخلي وأنهي اليوم على أي حال؟ أم أنسحب بهدوء وأسأل الله العوض في الرسوم التي دفعتها وهذا

خير لي من أنفلونزا مؤكدة وفائدة معدومة ومتاعب لا تطاق!؟ غادرت القاعة وجلست في صالة الانتظار باحثاً عن مخرج لهذه المعضلة، تحدثت مع المنظمين فلم يتفاعلوا مع معاناتي ثم اهتديت لرأي آخر وجدت فيه المخرج الصحيح والحل الأنسب واليكم تفاصيله: عدت إلى القاعة ووقفت عند مقعدي ورفعت يدي طالباً التحدث ولم يستجب لي .. أبقيت يدي مرفوعة لدقائق حتى أذن لي المدرب بالحديث وبعد الترحيب بالمدرب والحضور، تحدثت بكل صراحة عن معاناتي التي أعيشها وعن استحالة بقائي في هذا الموقع التعيس! وسألت المدرب «بوضوح» أن يساعدني! عمّ ذهول في القاعة وصمت رهيب وأصبحت محط أنظار الحضور بأسرهم! وبعدما انتهيت من كلمتي، تحدث المدرب وشكرني على صراحتي وجعل من تلك المداخلة بوابة لموضوع تحدث عنه لاحقاً ثم طلب من المنظمين إيجاد حل فوري لي، وبالفعل هبوا مسرعين وأجلسوني في مكان ما كنت أحلم به! ومن هذا الموقف تعلمت درساً أعدّه من أعظم الدروس في حياتي ألا وهو أنني أختار في الحياة الأسلوب الذي يناسبني وأن أعبر عن مشاعري برفض أي وضع خاطئ يُفرض عليّ! الكثيرُ منا للأسف تراه يقنع بما يفرض عليه، راضياً بالأساليب التي لا يفضلها، صامتاً تجاه

التصرفات التي تزعجه والكلمات التي تجرحه، يعتقد أن الآخرين أحق منه بالسعادة في هذه الحياة، وأولى منه براحة البال، بل ويرى كل مطالبه حقيرة تافهة لا تستحق أن يلتفت إليها ولا تستحق منه بذل صغير الجهد من أجلها .. وإليكم بعض تلك المواقف الحياتية المتكررة التي تمر علينا جميعاً: تذهب لأحد المطاعم الفخمة ويقدم لك الطعام بارداً فلا تجرؤ على الاعتراض، وقد تقدم لك الفاتورة وقد شككت في صحتها ولكنك تجبن عن مراجعتها خوفاً من خدش «بريستيجك»! إلى أن قال الدكتور خالد مؤلف المقال: «أخي الحبيب أختي الكريمة لا تسلّم نفسك للآخرين ولا تقدم سعادتك قرباناً لأمزجتهم الرديئة، اعترض بعد أن تتأكد من أن لك حقاً، وتحدّث بلطف وابتسامة وإياك والحدّة والعنف».

أين نكتب؟

في هذه الطفرة التي نعيشها من التطور التكنولوجي في الكتابة عبر لوحة مفاتيح الحاسب الآلي أصبح الكتّاب والأدباء يفتقدون دفء الأوراق من بين أيديهم، وأصبح لزاماً عليهم أن تواجه أعينهم شاشة الحاسب الشخصي التي يُرهق المتأمل فيها عينه أثناء الكتابة فيها. ورغم هذا التطور الرقمي ولكنه لن يمكّن

مخترعي أجهزته أن يصلوا إلى الدرجة التي تجعل صناعتهم مكتسبة الطابع الأثير ذاته الذي يمكّنه الورق لمن يود كتابة قصيدة مثلاً.

وعلى الصعيد الشخصي حاولت كثيراً أن أكتب أول حرف لقصيدة جديدة على شاشة الحاسب الآلي ولكن دون جدوى؟ وهنا في اعتقادي يظهر عجز التكنولوجيا عن بلوغ الحس الإنساني في أجهزتها. فالضوء المستمر لأعيننا من شاشات الحاسب الذي هو ليس كضوء القمر المنعكس على أوراقنا بالطبع يقطع حبل تفكيرنا، لأن كثيراً من الأحيان قد نود الكتابة ولكن يكون مقبس الكهرباء لشحن الحاسب بعيداً عن متناولنا وغالباً ما ينطفئ ويختفي كل شيء.

ما زال الورق هو الرقم الأول بكفاءة لاحتضان لحظة إشراقة الحروف الأولى والمتلقي الوفي الحاضر في كل الأوقات للكاتب والشاعر خاصة.

عصفور!

«عصفور يعطل أكبر المشاريع العلمية الخاصة بالذرة في العالم والذي بلغت تكلفته 10 مليارات دولار بعدما أسقط قطعة خبز في المحطة الواقعة عند الحدود السويسرية الفرنسية مما تسبب بتوقفها عن العمل». للوهلة الأولى سيعتقد القارئ أن هذا الخبر لا يتعدى كونه مزحة، ولكنه حقيقة وقعت، ولم أقرأ هذا الخبر في إحدى جرائدنا المحلية، وإنما ورد في إحدى رسائل الهاتف المتحرك النصية من خدمة الأخبار. واعتبرت هذه الرسالة من أجمل وأكثر الأخبار ظرفاً على الرغم من تضمن الخبر خسارة كبيرة! عصفور؟

إنه مجرد عصفور صغير ويقوم بكل ذلك؟! تُرى ماذا سيفعل الحمام أو النورس أو الباشق لو مروا عوضاً عنه؟ لطالما العصافير قد امتازت بالرقة والتغريد صباحاً، وحسبها التقاط فتات الخبز الملقى على الأعشاب، ولكن .. هذا الخطأ ليس بخطأ العصفور الرقيق في اعتقادي، ولكنه خطأ الأماكن التي لم تحسب لمروره حساباً وهو يمر وفي منقاره الصغير قطعة الخبز الصغيرة التي وقعت وكبّدتهم كل تلك الخسارة، كان لابد من التحضير لهذا المرور المغرّد، وفرش طبقة من الحرير فوق تلك المحطة. لا تحزن يا

عصفور الصباح، إنه ليس بخطأ منك، ولْتمضِ بسلام.

مغامرة لابد منها

حين ندخل في تجربة لعلاقة اجتماعية جديدة فكأننا نغوص في بحر لانعرف مداه وعمقه وخطره؛ فإما أن يكون هادئاً ويحمل الدرر الأصيلة في قاعه أو أن يكون هائجاً وغادراً لايعرفنا فيبتلعنا إلى أعماقه التي لا تحمل سوى الظلمات التي سكنتها الكائنات الغريبة والسامة والأسماك المفترسة فتؤذينا والعياذ بالله! وكثير منا تتعجّله الثقة الاجتماعية وحماسه العفوي إلى الاندفاع والمغامرة بالتوغّل في تلك البحور المجهولة، فإما أن تخيب أو تصيب رحلاتنا هذه، وكثيراً ما تخدعنا المظاهر المتلوّنة بكل جديد، نسأل الله الغنيمة من درر الأغوار والسلامة من كل كائن حي سام وغريب، فكما أن هنالك كائنات تتميز بهذه المواصفات فكذلك هنالك من البشر من هم أشد خطراً منها، ولا يجب الخوف ولكن التمحّص جيداً.

غرامة ضرورية

عبارة استوقفتني طويلاً؛ وجدت فيها مشاعر الحب والحرص

نحو البيئة والأرض التي أكرمتنا بالخير والعطاء، اقتطفتها لكم من إحدى المطبوعات المحلية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي حاكم إمارة الشارقة حفظه الله «إن العيش في بيئة نظيفة حق أساسي للإنسان؛ وينبغي توقيع غرامات على الشركات والأشخاص الذين يتسببون في تدمير مجتمعنا؛ ومنعهم من الاستفادة من الأرض التي قليلاً ما تحترم أو لا تحترم أصلا!»

أبطال برشلونة

العنوان لا يدل على هوسي برياضة كرة القدم أو إدماني متابعة أخبار الأندية الرياضية من حول العالم، بل يحمل قصة قد تكون طويلة نوعاً ما وشخصية بصورة مباشرة. منذ فترة طويلة طلب مني أخي الصغير أن أقرضه مبلغاً من المال ليشتري آلة تصوير رقمية احترافية، فسألته باندهاش عن سبب رغبته في شراء هذه «الكاميرا» الاحترافية فحتى أنا لا أملكها رغم حبي للتصوير، فأجابني: كما تعلمين أنني معجب بفريق برشلونة لكرة القدم، وأخبرني صديقي أنهم سيقومون باللعب في شهر ديسمبر المقبل عندنا في العاصمة، ولابد من ان ألتقط لهم صوراً واضحة لأحتفظ بها، وهذه فرصة لن تتكرر إلا نادراً. وبالفعل قد اشترى

آلة تصوير احترافية، ولكنه باعها سريعاً ليشتري أخرى أكثر كفاءة منها في التقاط الصور البعيدة بوضوح، لقد كانت مرحلة أولى من مسلسل عنوان هذه الفقرة. المرحلة الثانية تمثَّلَتْ في بحثه عن أي ملصق إعلاني عن فريق برشلونة حين تجولي معه في أماكن التسوق، وقد وقعت عيناه على لوحة إعلانية لبيع تذاكر لمباراتهم التي سيلعبونها في العاصمة، وبالطبع وعده الموظف المسؤول عن الإعلان بالاتصال به حال البدء في بيع هذه التذاكر وأخذ رقم هاتفه المتحرك، وقد اشتراها لاحقاً.

أما في المرحلة الثالثة فقد اشتريت له كرة قدم أصلية عليها شعار نادي برشلونة كمفأجاة له، ولكنها في الواقع كانت مفأجاة لي! حيث انتقد قائلاً: «شكراً ولكن خياطة هذه الكرة ضعيفة وغير قوية للأسف، لمَ اشتريتِها؟»، وسريعاً ما وجدت عنده كرة أخرى عليها شعار المباراة التي سيلعبها الفريق ولكنها بالفعل تتميز بالخياطة القوية وكان محقاً. وفي المرحلة الرابعة فقد طلب مني أن أوصله لمحل يبيع الزيّ الأصلي للاعبي نادي برشلونة، ولكن للأسف حين ذهبنا وجدنا أن المحل كانت لديه تنزيلات على أسعار بضائعه، ومن المعلوم أن في وقت التنزيلات لا تتوافر البضائع الجيدة! فوجدنا قميص النادي ولكنه كان أكبر حجماً

منه، فأخذ القميص الأحمر الذي يحمل الشعار فقط لأخذ التواقيع.

أما الخامسة فقد كانت رحلة عالمية، فقد كان يوم الخميس الثامن عشر من ديسمبر تاريخاً مميزاً لن أنساه، فقد طلب مني أن يحضر في المباراة التدريبية للفريق، ذهبت به إلى ثلاثة أماكن، لأن صديقه لم يكن متأكداً من مكان تدريبهم، فمضينا وفق حدس وتنبؤات اتصال صديق أخي أعاننا الله، المكان الأول كان نادي ضباط القوات المسلحة، ولكنه لم يكن هذا المكان؛ فاتجهنا إلى استاد زايد الرياضي، أنزلته مع «كاميرته الاحترافية» وانتظرته لدقيقة لأني كنت أعلم أنه ليس بالمكان نفسه، عاد لي سريعاً وطلب في خجل أن أوصله إلى «قصر الإمارات».

حيث سيكونون هناك، وبعد أن تأكدت باتصالي في «قصر الإمارات» ذهبت أنا وأخي إلى هناك، وحين أنزلته وجدت رجال الأمن يركضون نحو سيارتي فاندهشت ولكن زال الاندهاش سريعاً حين رأينا إحدى الشخصيات المهمة تمر بسرعة من أمامنا مباشرة، وللأسف لم يجد أخي أحداً منهم هناك، فردّد لي من بعد خمس ساعات انتظار: «كل هذا العناء ذهب هباءً من أجل توقيع والتقاطي صورة قريبة لهم؟» فواسيته بقولي إنه سيراهم في

المباراة غداً. والآن جاءت المرحلة الأخيرة، ولعلّي أعطيه مجالاً كبيراً في تحقيق طموحاته وصقل هواياته من بين أفراد الأسرة فقد ألحّ في طلبه راجياً مني أن أوصله إلى مكان المباراة، واعتذرت له بحكم أنه لا يليق بي كامرأة أن أكون في هذا الطريق المزدحم، ولكنه بلهجتنا المحلية «غمضني وكسر خاطري» فلبيت طلبه، واكتفيت بمشاهدته وهو ينطلق بسعادة حيث أوصلته من مكان بعيد، وجلست مع أمي في الحديقة القريبة إلى أن انتهت المباراة وعدنا إلى البيت، والآن سؤال يطرح نفسه بقوة: لماذا لم يُخَصَّصْ للاعبي الفريق يوم ليوقعوا ويصوروا مع معجبيهم، خاصة الطلاب المتفوقين؟

دعاء قلب محب

أخبرتني صديقتي، وهي من إحدى الجاليات العربية، بموقف مرت به واستغربت من مشاعر إحدى زميلاتها وهي زائرة إلى الإمارات، فقد خرجت معها ذات يوم وأثناء مرور شاحنة عسكرية بقربها ردّدت بتلقائية: «ربنا يحميهم»، فسألتها الزائرة باندهاش: «أنكِ لستِ من هنا، فكيف يهمك أمرهم؟»، فأجابتها:

«إنه وطني الثاني، وما تقولينه أعتبره تبلداً ونفاقاً، فكيف لا يهمني أمرهم وأنا أعمل في هذا المكان الطيب الذي أكرمني ومنحني ما كنت أفتقده في أي مكان كان؛ من العمل والنجاح والخبرة!»، فأجابتها: «ولكنك لن تكوني هنا إلى الأبد»، فأجابتها: «بل روحي ستكون هنا، حتى إن عدت إلى وطني وتركت عملي»، فاستنكرت ما قالته وسألتها عن سر دفاعها، فقالت لها: «لا أعض اليد التي أكرمتني، ومن يفعل ذلك سيكون جاحداً وغير وفيّ، فما الذي لم تقدمه لنا الإمارات؟».

شكرت صديقتي على مشاعرها الجياشة هذه وتأكّدت حينها صدق ظني في أن كثيرين من المقيمين يحملون مشاعر

الحب والولاء والوفاء، فلا يجب أن يجعل أحد السلبيين تفكيرنا يذهب بعيداً إلى حيث إنهم لا يحملون الولاء، فالإمارات بكرمها واحترامها للآخرين منذ عهد الشيخ زايد رحمه الله دولة جاذبة للحب والوفاء من كل قلب عرف أهلها وشرب من مائها وأكل من خيرها وتنفّس هواءها.

واجبك كمواطن

يالها من فرحة! ففي هذه الأيام نحتفل جميعنا بعيد الوطن المليء بالفعاليات الرائعة ومن الروعة أن نشارك بالحضور في فعاليات احتفالات الدولة في هذه الذكرى الغالية علينا جميعاً، ولا يكفينا أن نحمل الحب لوطننا الحبيب دون أن نبرهن على حبنا هذا، فكل مواطن ومواطنة ومحب لأرضنا الحبيبة يحمل مسؤولية هذا الحب المتوغّل بوفاء في أعماقنا، وإن تطلب الأمر مثلاً كأن نشرح لكل زائر الصورة الصحيحة عنا دون تشويه وهمجية وتخويف.

يجب أن نحتفل دون أن نلوّث حدائقنا بمخلفات الأطعمة التي أتينا بها، وأن يمرح الشباب بالشعارات المعلقة على سياراتهم ولكن دون أن يربكوا هدوء الماضين بسياراتهم وهم في طريقهم مع عوائلهم بأمان!

والآن يحضرني مشهد شعرت من بعده بالرضا لعلي قد وُفِّقت فيه، ألا وهوحين التقيت امرأة من الجالية الفلبينية وهي تعمل نادلة في أحد المطاعم؛ حيث دار حوار بيني وبينها، وعلمت حينها كيف أن هنالك العديد من الأشخاص حول العالم لايفهموننا جيداً ويحملون صوراً وأموراً خاطئة عنا، فقد بدأت الحوار ولاحظت عليها الفضول للمعرفة عن أهل الإمارات وأخبرتني أنها قادمة للتوّ للعمل في الإمارات، وحين علِمَت أني مواطنة بدأت بالأسئلة المهمة وسألتني: كيف عليّ أن أتصرف حين يسرق أحد ما هاتفي؟ فأخبرتها أنه غالباً لا يوجد لدينا من يسرق وأن عليها حال حدوث الموقف الاتصال برقم الشرطة 999 ؛ فاستغربَتْ وأخبرتني أنها لا تعرفه! وأكدتُ عليها أن دولتنا تتميز بالأمان وليس عليها أن تشعر بأدنى خوف وأن لدينا أجهزة حماية عالية وأن أعين الشرطة ساهرة وتحرس دوماً، فأخبرتني أن صديقتها في إحدى الدول المجاورة قد واجهت موقفاً أشعرها بالخوف! فحين ارتدت بعض الملابس القصيرة وجدت مجموعة من الرجال يحيطون بها ويعطونها عباءة لتغطي نفسها بها، فقلت لها: «إن ما قاموا به خاص بنظام حكومتهم، وأننا نحترم حرية الجميع دون استثناء بغض النظر عن جنسياتهم وألوانهم

وثقافاتهم؛ ولكن يجب عليهم بالمقابل مراعاة مشاعر المسلمين «أهل المكان» في عدم ارتداء مثل هذه الملابس التي تخدش حياءهم وتجرح بصرهم، فنحن لا نتقبل الاعتياد على مشاهدتها»، فابتسمت وجاء سؤالها الذي أضحكني: «وهل ترتدون النقاب والعباءة في المنازل أيضاً؟»، فأجبتها بالنفي موضحة لها ما تجهله عن طبيعة ما نرتديه، وقالت لي: «حين وصلت المطار ارتعبت من منظر العباءات السوداء التي ترتدونها ولكن الخوف تلاشى سريعاً حين التقيت بصاحباتها النساء المواطنات الخلوقات هنا؛ وشعرت حينها بالأمان وأنها كانت مجرد أوهام ومن آثار الأفلام المشوّهة التي شاهدناها على شبكة الإنترنت والفيديو»، ثم شكرتني وذهبت إلى عملها، إن عدم إعطاء فُسَحْ الحوار لمثل هذه الإنسانة بإمكانه أن يوسّع دائرة العتمة في عينيها، بل امتدادها إلى من تعرفهم وانتقالها من ذهن إلى آخر ومن قرية إلى أخرى، لذلك وجب على كل محب لهذا الوطن الحبيب أداء واجبه بالصورة التي تتناسب والموقف بأخلاقنا وأصالتنا العربية وتقاليد أهلنا الطيبة وعاداتهم الجميلة التي لا تموت أبداً.

رهبة الذكرى

لعلّ رهبة ورفعةْ شأن هذه الذكرى ألجمتا بوحي للتعبير عنها، وفي الحقيقة تأخرت كثيراً في إرسالي صفحتي هذه إلى الصحيفة لا لشيء وإنما كما ذكرت لكم؛ إنها اللحظة الصعبة لأصف ما يليق بعظمة هذه الذكرى التي تمر بنا كل عام في الثاني من نوفمبر؛ إنها ذكرى تاريخ وفاة القائد العظيم الذي شهدت له الأمم وصفقت له طويلاً ومازال صدى هذا التصفيق يغمر أسماعنا والعالم فخراً وإعجاباً بشخصيته وذكائه وحكمته وقوته لتأسيس دولة قوية متحدة كدولتنا الحبيبة، الشيخ زايد رحمه الله وطيب ثراه، وما زالت أعيننا تكتحل بطيفه الذي مرّ أمامها ذات يوم. أسأل الله أن يرحم أبانا زايد وأن يسكنه في الدرجات العالية في فردوسه الأعلى آمين.

مجد يتجدد

ما زال يرحمه الله ينال جوائز دولية عديدة، وكان اختياره مؤخراً من بين عشرة زعماء طوّروا بلدانهم بعد الحرب العالمية الثانية محل فخر واعتزاز لنا أبناء الوطن، الشيخ زايد كان ولا

يزال مصدر إلهام كبير للجيل الذي عاش في عهده والأجيال القادمة، إن شخصيته تاريخية فذّة تتعلم منها الشخصيات البارزة والعادية في المجتمعات الإنسانية، لقد كان الحاكم والأب والمعلم والباني والزارع والحاصد وكثيراً من صفات النبل والفروسية والإنسانية، «زايد» اسم نُحِت بجوهر الحب والوفاء وتشرب من معينه الصافي الأضلع والأعين.

قدوة ولكن..!

لا نعلم في كثير من المواقف نتساءل، ألم يكن من الأفضل أن نبقى بعيداً عمن أعجبنا فيه واعتبرناه القدوة؟ كثير من الأشخاص كانوا قدوة رائعة لنا في الحياة، ورمزاً لأجمل المعاني في الحياة، ومعنىً صادقاً في زمن قل فيه الصادقون، نجدهم فجأة أصبحوا عكس كل شيء كان جميلاً في أذهاننا، لا لسبب، ولكنها خيرة الله سبحانه، التي اختارتنا لنقائنا وصفاء سرائرنا لتحمينا من الانجراف خلفهم، والتأثر بهم أو الدفاع عنهم..قد نردد: لَم اقتربنا من هؤلاء؟..ولكن السلامة أعظم إجابة وأغلى غنيمة.

رسالة من بعيد

وصلتني رسالة في البريد الإلكتروني من الصندوق الإلكتروني للشاعرة قلب العنا رحمها الله!!

من يقرأ هذه الجملة سيقع في دوائر كبيرة من الدهشة وأجدني من أوائل المندهشين للحدث! لمجرد وقوع عيني على اسم المرسلة انتابتني حالة من الحزن والدهشة معاً لأنها قد توفيت رحمها الله منذ فترة طويلة تقارب العام، ومن المحال أن تصلني رسالة منها بالتأكيد! وحين تمعّني في عنوان الرسالة وجدته باللغة الإنجليزية وبكلمات لا تعبر عن تواصل حقيقي، ثم تذكرت أن مثل هذه الرسائل التي تحمل عنوان: re: helo وعبارة hi غالباً ما تأتي من صناديق إلكترونية قد تعرضت لعمليات اختراق، ولم أفتح الرسالة. ولكني اكتفيت بقراءة اسم المرسلة ودمعت عيني، وتذكرتها رحمها الله حين كانت ترسل لي الرسائل المليئة بالود والتقدير والتواصل الأخوي الرائع الذي ندر في هذا الوقت. وعلى قدر سعادتي برؤية اسمها من جديد من بين أسماء المرسلين فقد احترت من أمر هذه الرسائل التي تصلني باستمرار؛ ولكني بمجرد مسحي لاسمها من قائمة المتصلين فستختفي الرسائل التي

تردني من الذين اخترقوا بريدها الإلكتروني، وقد عزّ عليّ ذلك، فما الذي سيبقى من أثرها في بريدي الإلكتروني إن فعلت ذلك؟ وإن كانت ملحّة تلك الرسائل، ولكنه يا له من إلحاح جميل يختبر الوفاء في القلوب المحتارة، رحمها الله لقد كانت دمثة الأخلاق، رحلت ولم يبقَ سوى أريج خُلُقها الأخّاذ في القلوب التي أحبتها.

الوقوف على الأطلال

من يقرأ هذه العبارة «الوقوف على الأطلال» سيتوارد إلى ذهنه مباشرة شعراء العصر الجاهلي، ولكن في الحقيقة إنني وجدت نفسي من ضمن هؤلاء الشعراء في هذا الموقف الحزين.. وهوليس حزيناً تماماً، لأني كنت قد دُعيت إلى إقامة أمسية شعرية في هذا المكان الذي أجده أصبح أطلالاً ولابد من البكاء عليها. وكم كنت أنتظر هذه اللحظة التي سأتمكن فيها من زيارة هذا المكان الأثير إلى قلبي، ألا هو..الحرم الجامعي مبنى كليات الطالبات في جامعة الإمارات العربية المتحدة في مدينة العين الجميلة. دعوني أشرح لكم في إسهاب تفاصيل رحلتي إلى هذا المكان الذي أعشقه ولا أعلم لمَ هذا العشق رغم دهشة كثيرات من زميلات الجامعة لشعوري هذا. حين وصلت عند بوابة الجامعة جلست أنتظر إذن

الدخول وإعلام الجهة المستضيفة لي بالوصول، فقد أتيت قبل موعد أمسيتي بساعتين لأغتنم لحظات اللقاء بذكرياتي الدراسية الجميلة، وقد اتصلت الأخت الغالية الشاعرة نجاة الظاهري تسألني عن مكاني لترحب بي وتتابع زاوية «الوقوف على الأطلال»: لكني استأذنتها بالاختلاء بحبيبتي جامعتي وذكريات هنا وهناك فأخبرتني أنها ستنتظرني بعد ساعتين للأمسية.

مشيت وأنا أنظر إلى من حولي وكأني ألتقي صديقة عادت إلى الحياة؛ سرت إلى الحرم الجميل ونظرت عن يميني ورأيت مبنى الأنشطة الطلابية وتذكرت صحيفة «خطوط نبطية» التي كنت أعدها مع صديقتي ضوح القمر، واتجهت مباشرة إلى مبنى المسرح القديم حيث كنت أتلقى كثيراً من محاضراتي هناك وحين وصلت إلى القاعة جلست وكانت خالية إلا من طيف اللواتي كنّ يدرسن معي آنذاك ونظرت سريعاً وبلهفة إلى الطاولة وشاهدت الأطلال والكتابات القديمة المنحوتة في صميم خشب الطاولة وقرأت أسماء عرفتها وأخرى لم أعرفها وسالت دمعة عليها، ثم وضعت رأسي على الطاولة وسرحت وقلت:أين هنّ الآن؟ لقد مضى أكثر من خمس عشرة عاماً..منهن الأم ومنهن الموظفة ومنهن من ماتت، وتذكرت «سماح غباش» رحمها الله.

خرجت ووجدت المبنى الذي كنت أتلقى فيه كل محاضراتي قد أُزيل وأصبح قرية تراثية؟ وقلت: رحم الله الدكتور «حسين شرف» الذي تلقيت منه علوماً في اللغة هناك، ورحم الله د.سيد نوح الذي نهلت من علمه فقهاً في الدين.

البامبو يلقّنني درساً

في لحظة من التأمل جلست أنظر إلى أغصان «البامبو» في القارورة الزجاجية المليئة بالماء، ونظرت إلى ساق إحداها فإذا به مصفراً، فقمت سريعاً لأبتر الجزء المصاب كي لا تُصاب الأغصان الأخرى بالاصفرار، وسألت نفسي قبل البتر: هل سيتمكن الغصن من شرب الماء إذا ما بترت الجذر؟ بترت الجذر، ووضعت الغصن المبتور في قارورة ماء أخرى، ومرت ثلاثة أيام ثم وجدت جذراً صغيراً ينمو في أسفل الغصن المبتور ثم سرعان ما نبتت جذور أخرى فيه بعد أيام قلائل، وقلت: سبحان الله أحسن الخالقين!، أأعجز أن أتعلم من النبات العزم والإرادة وبتر اليأس من القلب؛ كما بترت الجذر الأصفر من الغصن الأخضر؟ لقد مررت بوقت احتجت فيه إلى موقف يوقظ الصبح من قلبي بعد أن غفا قليلاً من بعد ليل قد طال قليلاً.

انظرا إليه

يهمل بعض الآباء النظر إلى أعين أبنائهم أثناء الحوار، ومما لاشك فيه أن هذا أمر اعتيادي، حيث لا يمكّن الوقت الأب من

ذلك، وسؤال إلى كل أب مشغول: «أنظرْتَ إلى وجه وعيني ابنك ذي السبعة أعوام وهو يحدّثك بحماسة عن أول يوم دراسي؟ نظرة حنونة لثلاث ثوانٍ فقط تكفي ابنك ليشعر بقيمته لديك، وهذه النظرة تعبر عن اهتمامك الذي يعزز شعور الثقة والسعادة في نفسه». ربما ركزت على الأب دون الأم ولكني لم أشاهد يوماً أماً لا تنظر إلى أطفالها وهم يتحدثون إليها؛ إلا ما ندر.

علماء نفس كثيرون يؤكدون مدى أهمية تواصل الوالدين مع أطفالهما بالنظر المباشر إليهم، فرب نظرة حنونة تغني طفلاً عن احتضانه.

خواطر الشقيري

قرأت عن قصص نجاح برامج التوعوية الشبابية للسعودي أحمد الشقيري، وشاهدت في برنامجه «خواطر2» ما تندهش له الألباب. يتناول في برنامجه هذا حلقات تقريرية عن حياة اليابانيين الثقافية وتعاملهم الحضاري والإنساني، ويقوم بتصويرهم أثناء قيامهم بأنشطتهم اليومية مثلاً كالذهاب إلى العمل، وكيفية بدء يومهم في المكاتب عبر أداء عمل رياضي خفيف ولكن بصورة الفريق الواحد، كما صوّر بعض الأماكن الغريبة عن عالمنا العربي كملعب الكرة الذي أقامه صاحب العمارة في سطحها لاستغلاله بما ينفع الشباب والأطفال وتسقيف المكان بشباك خضراء عالية كي لا تقع الكرة إلى أسفل العمارة.

قبل ان أريكم بعض المشاهد التي تحدث عنها خلال تصويره للحلقات في اليابان، أود أن أشاهد واحداً من أبنائنا المميزين يقدم حلقات فيها ما ينافس برنامجه في الطرح الجريء المبتكر غير الروتيني، فغالباً ما نجد بعض الوعاظ الذين يلقون مواعظ للشباب في صورة بعيدة عن هيئتهم، فكيف للشاب أن ينجذب للواعظ دون أن يجد ما يجعله يشعر بقرب في الشخصية والهيئة فينتبه

كلياً إليه بل يتحمّس معه؟ «فالله جميل ويحب الجمال» سبحانه، ومن يشاهد البرنامج الذي أتحدث عنه ستصله الفكرة التي رميت إليها في حديثي هذا. جازى الله الشقيري خيراً لإفادتنا كما ذكر في مقدمة برنامجه بعبارة «نحن ننقل إليكم البرنامج لا للتقليد والتمجيد بل لأخذ كل مفيد فهو يوضح للمشاهد قبل انتقاده الهدف من البرنامج وهو الاستفادة، وفي الحقيقة برنامجه مفيد بكل ما تحمل الكلمة، ففي إحدى الحلقات صوّر كيفية وقوف المسؤولين المشرفين في المدارس في منتصف الشارع بحمل علم للتلويح به للسيارات المارة بأنه يرجى الانتباه للطلبة والسماح لمرورهم إلى المدرسة، فمن المؤكد أن المسؤولين في التربية هنا سيتعلمون من هذه الخطوة الحضارية حفاظاً على أرواح الطلبة من السيارات والباصات المسرعة دون انتباه.

وفي إحدى الحلقات نقل مشاهد من مدينة خاصة بالأطفال باسم «كيدزينيا»، وهي مدينة تعليمية تعلم الأطفال الوظائف التي يقوم بها الكبار ويتيح لهم المشرفون التجربة، كإطفاء نيران وهمية، وإجراء عملية جراحية عبر المنظار والتصوير التلفازي، ومن سيشاهد الأطفال وهم يقومون بالتجربة سيعتقد أنهم طلبة في كلية الطب ويؤدون تجربة عملية! وحين يقارن وضع بعض

الدول العربية باليابان فإنه يضع عبارة «كوكب اليابان» إن كان المقطع لليابان؛ وعبارة «كوكب آخر» إن كان لإحدى الدول العربية، ولا ألومه، فمن يشاهد ما يقدمه من مظاهر حضارية هناك يجعلنا نتساءل: أحقاً هم يعيشون على كوكب الأرض ذاته أم هوكوكب اسمه «كوكب اليابان»؟

إن «هيروشيما» كارثة أضرتهم من ناحية ولكنها أخرجتهم إلى تحدٍّ واستقلال صفق لهما العالم طويلاً ولم يزل. إن أطفالنا ليسوا بأقل ذكاء منهم، بل إننا نمتلك إمكانيات هائلة للحاق بكل ذلك، ولكننا في ترقب للخطوات المقبلة «لعل وعسى» أحد التجار يقوم بعمل فردي يتميز به ويخدم المجتمع بإنجاز مشروع مجتمعي كهذا.

كوارث الغيرة

بالإمكان أن تؤدي غيرة النساء إلى كوارث حقيقية، ولا يكاد يخلو قلب أي امرأة من هذا الشعور تجاه زوجها، أو من أحد ما يفوقها تميزاً. والحديث عن الغيرة النسائية قد لا يتقنه سوى امرأة، وهناك قصة لفتاة أعرفها، أخبرتني أنها محتارة من أمرٍ تعرضت له من قبل كثيرات، وهو غيرتهن منها! فسألتها كيف تأكدت من حقيقة شعورهن، فأجابتني أنها تعبت من انتقادات زميلاتها في العمل بأنها قد سمنت عن السابق وأنه يجب عليها تخفيف وزنها وإلا طار من يدها زوجها، رغم أن زوجها مقتنع بقوامها، ولكن من باب إرضاء زميلاتها؛ قامت باتباع برنامج غذائي ورياضي لتصبح كما كانت في بداية عملها.

وبعد أن نقص وزنها وأصبحت كما كانت، أصبحت لا تسمع منهن أي ملاحظة طيبة، أو مديح لقوامها الجديد، بل كان معظمهن يتهربن من الإطالة في الحديث معها، وكنّ يعاملنها بحدة ومزاجية دون أسباب واضحة؛ فصدمها ذلك، فعادت كما كانت في الصورة التي انتُقِدَتْ بها من قبل زميلاتها.

ولكنها هذه المرة لم تسمع منهن سوى المديح والثناء لتركها

النظام الغذائي والعودة كما كانت ما قبل هذا النظام. هكذا روت لي قصتها؛ ثم سألتني: «لاحظن سمنتي ولكنهن لم يلاحظن رشاقتي!» ولكنها قد تكون الغيرة منها سبباً لذلك، خاصة بعد أن أصبحَتْ أجمل منهن، فحين خرست ألسنتهن عن إبداء الرأي عن التغير الواضح؛ فالغيرة جواب جليّ لتجاهلهن هذا،ومن قصص الغيرة النسائية سأقص عليكم القصة التالية:

«اللي اختشوا ماتوا»

« بقايا بشر .. كان هنا إنسان ..كانت هناك أم تغني؛ وكانت هناك بنت ترقص؛ وكانت هناك أخت تصفق، وفي زاوية الفرح كانت عجوز تتأمل فرحة بناتها وحفيداتها؛ لحظات فقط ...! تحول الحلم إلى كابوس..فأصبح الغناء صراخاً والرقص هروباً! والتصفيق لطماً...! نيران تحاصر المكان؛ نيرانٌ لا تفرق بين كبير وصغير! نيران وصفتها إحدى الناجيات بأنها «أبواب جهنم»، كتلة نار لفت مجاميع من البشر بكفنٍ واحد عندما سقطت أروقة خيمة الموت على الضحايا، تهاوت أعمدة الخيمة لتنهار بقايا كل شيء جميل بداخلها ».

كلمات عزاء كتبها شاهد عيان لكل تلك المشاهد الرهيبة

واسمه مشعل الحيص، إنها تصف كارثة حريق لعرس أقيم في منطقة اسمها «العيون» التي تقع في مدينة الجهراء الكويتية؛ والتي وقعت تحديداً في يوم 15 أغسطس 2009م، ومن تابع أحداث هذه الكارثة، أبعدنا الله عن الكوارث، سيشعر بمدى فداحة بلاء أهل الضحايا الذين وقعوا جراءها، فقد قامت الزوجة الأولى بإضرام النار «خفية» في خيمة العرس الثاني لزوجها لإفسادها؛ ولم تكن تعلم على حد قولها كما نشر في جرائد الكويت الرسمية بوقوع هذا العدد الهائل من الضحايا! وهنا استكمالاً لما ذكرته سابقاً عن الغيرة النسائية، وليست جميع النساء مثلها، فكثيرات يعرفن كيف يسيطرن على جموح مثل هذه المشاعر المدمرة، ولكنها تصرفت وفق عاطفتها وقلبها لا عقلها مع الأسف! فكيف هو حزن ذلك الرجل الذي فقد تسعاً من بناته وزوجته رفيقة دربه معهن؟ ما ذنب الأطفال الذين تيتموا بسبب فعلتها الشنعاء؟ ما سبب كل هؤلاء الضحايا وأهلهم المكلومين؟ أثابهم وأعانهم الله الرحيم!

لقد تمزّق قلبي حين شاهدت مقطعاً يحوي أصوات النساء حين وقوع الحريق في موقع إلكتروني مشهور، وسألت الله أن يتغمد أرواحهن الجنة وأن يشفي المصابات الناجيات. وشاهدت

مقطع فيديوآخر يصف أقوال من كانوا موجودين حين وقوع الحدث فقالت إحدى الفتيات إنها جاءت مسرعة لقرب الخيمة من منزلها لتغطي بقطع القماش أجساد الهاربات من الخيمة المحترقة فالكثيرات رفضن الخروج بلا عباءاتهن حياءً رغم دنو الموت منهن! رحمهن الله، إنها مشيئة الرحمن سبحانه. تبادر إلى ذهني المثل المصري الجميل «اللي اختشوا ماتوا»، وتذكرت قصة النساء اللواتي كنّ في حمام تركي ورفضن الخروج بلا ثياب «أعزكم الله»؛ بعد أن شب الحريق داخل الحمام التركي فلقين حتفهن، وحين سأل صاحب الحمام عن من مات منهن؟ أجابه الحارس: «اللي اختشوا ماتوا».

الملك والعصفور

وقف العصفور قرب نافذة صديقه الملك الذي يرمي إليه فتات الكعك كل صباح؛ فإذا به يشاهد عصفوراً آخر يحاول أن يقلّد الأنشودة التي يغردها للملك، فاندهش منه، وحين التقى به سأله: لماذا أتيت إلى هذه الشجرة التي أغرد على أغصانها كل صباح؛ بينما هنالك أشجار كثيرة من حولك في هذه الروضة؟

فأجابه: ولكنها لا تطل على نافذة الملك، بينما تنعم وحدك بفتات الكعك اللذيذ الذي يرميه إليك. هجر العصفور مكانه لذاك المقلّد له ومضايقاته، وفي ذات يوم أتى إليه الغراب مسرعاً ليخبره أن الملك قد أصابه المرض، ولم يعد يسمع أياً من العصافير تغرد له. فطار إليه مسرعاً وبدأ في التغريد ولكنه لم يره، وفي الصباح خرج إليه الملك وجلس قربه في الشرفة ثم رمى إليه فتات الكعك من جديد.

وحين التقى العصفور بذاك المقلّد بادره بالسؤال: لم تركت الملك وحيداً؟ فأجابه: إن هذا الملك يملّ سريعاً، ولم يعجبه تغريدي، ولم أجد فتات الكعك أيضاً؛ ماذا تفعل لينصت إليك؟ فامتنع العصفور عن الإجابة، لا لشيء وإنما لأنه كان يود الاحتفاظ

بالحب الذي جمعه بالملك، فقد كان يحبه ويطيل التغريد إلى أن يجلس الملك على كرسيه في الشرفة ويشرب الشاي، وبعد أن ينتهي من ارتشاف الشاي يقترب من الشجرة فيبوح بما في قلبه له فيغرد ويغرد، ثم يرمي إليه فتات الكعك، وفي أحيان كثيرة لايرمي إليه بشيء ولكنه رغم ذلك كان يغرد له، ما ربطه بالملك ليس الطعام بل الروح التي جمعتهما بالحب، والكيفية التي تمت بها كل هذه الأمور الصغيرة، التي لا يعيها سوى الأوفياء، الذين يرتقون بحبهم دون النظر إلى المصالح.

بيضاء الثلج

خرجت ذات يوم مع أسرتي إلى أحد المراكز التجارية في الدولة، فإذا بنا نفاجأ بمنظر لأحد المتزلجين على الثلج في المركز التجاري، ولم نتمكن من إدخال الأطفال إلى قاعة التزلج ليلعبوا، ولكننا تجمدنا في مكاننا ولم نكن مصدقين لما تراه أعيننا، وماذا سنجيب عن الأطفال حين يسألون: «لماذا لا نتزلج؟» المنظر هو لمتزلجيْن من جنس الرجال الناعمين أكرمكم الله، فقد نفرنا من بشاعة هيئتيهما الخارجة على الذوق العام والفطرة، الحمدلله الذي عافانا، ولكن أيمكن لأحد يغار على وطنه أن يهنأ بوجودهم قربه؟

«بيضاء الثلج»: محال، ولا أعلم لماذا يخرج هؤلاء «المرضى» متجمّلين كالنساء علناً وكأن أحداً سيقوم «بخطبتهم»!، وكما قيل: «إذا بُليتم فاستتروا»، ولكننا نراهم يمشون كمشي الإناث ويتفاخرون وينافسون البنات في كل شيء! لاحول ولاقوة إلا بالله! بينما كنا نتوجه إلى مكان آخر مع أفراد أسرتي، وجدت فتاتين تجلسان قرب مدخل قاعة التزلج وقد أمسكت إحداهما بهاتفها المتحرك لتصور «التحف البشرية» التي أخبرتكم عنها، وتوارد إلى ذهني موقع «اليوتيوب».

لا أعلم لماذا، ولكنني تذكرت أن هذا الموقع يحمل كل ما هو غريب، واكتشفت أن كل من يمر من هناك كان يتندّر على مشهد هذين الرجليْن الغريبيْن الناعميْن! وكم كنت أتمنى أن يكونا أجنبييْن..ولكن..

«يوم بلا سيارات»

هل بإمكاننا أن نتخيّل أن يمر علينا يوم يخلومن قيادة السيارات وجميع أنواعها؟ وكيف سيكون الجو في هذا اليوم؟ أسيقبل الموظفون أن يذهبوا إلى العمل عبر الدراجات؟ كم أتمنى أن يأتي هذا اليوم، وهو يوم واحد فقط في العام الواحد؟ ألا يحق لرئة البيئة أن تتنفس بنقاء وليوم واحد؟

إحراج

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»،صدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ماذا سيحدث لو أمسك أحدهم لسانه عن إيلام قلوب الآخرين؟ وما الذي يجعل حياتنا جميلة سوى حديث بعض الأحبة؟ الكلمة ملك لكل قلب قبل أن يطلقها اللسان، فللسان حدان، حد طيب وحد سيئ، فالطيب الذي ينفع الآخرين بطيب العلم والقول، بينما الحد السيئ هو الذي يؤذي مشاعر الآخرين، وهوالأمر غير المرغوب في التعامل. فكم كلمة كتمها إنسان عاقل منعت حروباً وفتناً ومنازعات وكشف عورات، وكم كلمة أباحها آخر وكان لها عكس ذلك كله، ورب كلمة فصلت رجلاً عن زوجته وأباً عن ابنه وأخاً عن أخيه وصديقاً عن صديقه! ورب كلمة جمعتهم في مجلس كان يجمع نساء ثريات، وكانت فقيرة قد أتت بدعوة من صديقتها المحسنة صاحبة المجلس الثرية، دخلت على النساء امرأة ثرية وقالت: لديّ مشروع تجاري رائع ما رأيكن؟ فنظرن إلى بعضهن وهن يتبادلن الرأي، فقاطعت كلام إحداهن وهي تنظر إلى الفقيرة: «إلا أنتِ فاعذريني لا يمكنك أن تشاركينا المشروع» ضاحكة مستهزئة بها أمام الجميع، فساد الصمت المكان، وجلست في خجل بين الجالسات، بينما تغيّر

لون وجه الفقيرة بابتسامة ضعيفة لا تعلم كيف رسمتها على وجهها منعاً لإحراج نفسها أمامهن، ولكن في هذه اللحظة أنعلم كم مرة خفق قلبها الضعيف وماذا لو توقف نبضه؟ ألا يمكن لمثل تلك الثرية أن تمسك «فلتات» لسانها عن جرح الآخرين والاستهزاء بهم أمام جمع من الناس؟.. ألا تعلم أن لتلك الفقيرة «حوبة» ولابد أن تصيبها لأن الحياة دين؟.....ولكن حوبتها بالفعل جاءت أسرع من البرق فقد ردت عليها صاحبة المجلس: ماذا حدث للمبلغ الذي اقترضته مني وحان وقت قبضه؟ أريد أن أعطيها إياه لتستثمره.

الأزمة العالمية والتكافل

بإمكاننا أن نقرأ قصصاً غريبة خلّفتها الأزمة العالمية في كل مجتمع من مجتمعات الإنسانية، وغالباً ما تتضمن قصصاً مؤلمة عن أشخاص تعرضوا للإفلاس من بعد الأزمة العالمية؛ فأقدموا على أعمال بعيدة عن طبيعتهم: كالسرقة والانتحار والعياذ بالله أو كقصة أب يقدم على قتل أطفاله وزوجته لأنه لا يريدهم أن يعانوا من إفلاسه، ويعيشوا في ضنك بسببه، وقلة من الأشخاص المحيطين بهؤلاء نجدهم يمدون يد العون لهم، وقد تحكمهم ثقافتهم وطبيعة مجتمعهم ومعتقداتهم في سلوكهم هذا، لكن لوجئنا في واقع أمتنا فلله الحمد، نجد الترابط الاجتماعي والتكافل الاجتماعي يبدوان في أنصع صورة، ومحال أن نشاهد أي أثر للأزمة هذه عندنا ما شاء الله تبارك الرحمن، بل لا يمكننا أن نجد مشهداً لإنسان ينام ليلاً في الشوارع، أو أن نجد طفلاً صغيراً يعمل، أو أماً تحمل طفلاً بيدها وبلا مأوى، أو أن نشاهد طاعناً في السن يمد يده للآخرين طلباً للمال والمساعدة إلخ...، وإن ديننا السمح قد أمر الناس بتقديم الصدقات ودفع أموال الزكاة للمحتاجين والفقراء؛ وأمرنا بالتعاضد والترابط والسؤال، فكما نعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى بالجار، وهذا

مثال على التماسك والتعاون بين أفراد مجتمعاتنا. ونتمنى أن يستمر هذا التكافل الاجتماعي الذي حثّ عليه ديننا، وأن يستمر دعم التجار للفقراء والمحتاجين للدعم المادي والتوظيفي في شركاتهم الخاصة في حال الكفاءة لدى المحتاج، وبعونهم هذا أيضاً فإنهم سيسهمون في بناء ركائز المجتمع واستقراره. ومن يودّ أن يشاهد منظراً من صور التكافل الاجتماعي فليشاهد الحقائب والأكياس المحملة بالمساعدات الإنسانية في شهر رمضان في أيدي المحتاجين الخارجين من بعض منازل أصحاب الأيدي البيضاء بنظرة أمان وابتسامة وشكر لرب العالمين بأنهم قي مجتمع «كالبنيان المرصوص الذي يشدّ بعضه بعضاً». اقتباس من حديث نبوي شريف.

فضيلة الأخلاق

إنـا لقـوم أبـت أخلاقنـا شرفاً

أن نبتدي بـالأذى من ليسَ يؤذينا

صفي الدين الحلي×

توأم الروح

الصداقة إكسير العلاقات الإنسانية في هذا الوقت، ولكن.. لابد أن تجد ذلك الصديق الذي تتحدث عنه أمهات الكتب في

عبارة العرب الشهيرة من ساحق الأزمان، وقد ذكروا الصديق ضمن شيئين ذكرا في الأساطير لندرته؛ في عبارتهم القديمة التي تؤكد أن لاوجود لهذه الأمور كما ذكرت لكم سابقاً:«الغول والعنقاء، والخل الوفي». فالغول هو الوحش والعنقاء هو الطائر العملاق طويل الرقبة، ولا وجود لهما إلا في القصص الخرافية، وكذلك الصديق في وصفهم هذا، ولعلهم وجدوه نادراً هكذا كندرة العنقاء والغيلان لأنهم علموا أن عملية الحصول عليه صعبة أو تكاد تكون كندرة هذه الكائنات الأسطورية، إذن من عصور قديمة ساحقة كانت هذه الحقيقة ولم تزل هكذا، ولا أقصد الغلو في هذا الوصف، ولكننا نعلم أن كثيراً منا قد قضى حياته بمعرفة أشخاص كثيرين؛ ولكنه لم يجد قربه –سوى والدته قلباً يحمل ما لا يطيق على حمله ويسنده في ضيقه، ويبتسم معه ويحزن معه.

ولعله العكس تماماً فقد يجد أصدقاء كثيرين ولكنهم كقول الشاعر: «لكنهم في النائباتِ قليلُ»! أو....قد يكون محظوظاً بصديق أو اثنين منّ الله عليه بهما وخصّه بصداقتهما له، أو قد يكونان أكثر من اثنين ولكني أضرب لكم مثالاً للتوضيح.

وقد روت صديقتي قصة قد أخبرها والدها بها، وقد أعجبني جوهرها، وهي تتحدث عن أب لخمسة أبناء؛ وقد أوصاهم ليطمئن على مسيرة حياتهم أن ينطلق كل واحد منهم ليجمع كنزاً حول العالم، ثم يأتي به إليه.

فما كان منهم إلا أن ذهبوا وعملوا بالتجارة والزراعة، ثم عادوا إليه بعد عدة شهور، ثم سألهم عما جمعوه من الكنز خلال رحلتهم هذه، فروى كل منهم قصته مع التجارة وكيفية ربحه منها المال. إلا ابناً واحداً لم يأتِ بشيء، فسأله والده: أين الكنز الذي جمعته يا ولدي؟ فأجابه أنه قام بالعمل على نصائحه التي غرسها فيه بكسب الأصدقاء، فقام بكسب صداقات متعددة من حول العالم، واعتبر عمله هذا كنز أيامه وزاده في هذه الحياة. فقال الأب لأبنائه إن هذا هو الفائز من بينهم والذي حصل على الكنز الذي قصده، وقال: «أن ما قد جمعه أخوكم هوالثروة الحقيقية، ويجب البحث عنها بعناية والمحافظة عليها من التلف أو الضياع».

قصة لم أستطع نسيانها منذ 1989م وإلى يومنا هذا مازلت أتأثر بها؛ بل ما زالت صاحبة القصة صديقتي الصدوق حفظها الله. ولا يجب أن نركز على جانب ما أعجبنا في شخصية الصديق وننسى الجانب الأهم وكلنا نعلم به؛ ألا هو جانب طبيعة النفس والأخلاق والمعتقدات، فلا يجب أن نتعمق بعلاقتنا مع المختلفين عنا كلياً، وقد يمكننا تغييرهم للأفضل، أو العكس كأن يؤثروا فينا ويجعلونا نتغير ونغير عادات سيئة، كتعلمنا منهم مسامحة الآخرين مثلاً.

والصديق الذي يجب الحذر منه هو ذاك الذي يختلف عن

عاداتك ومعتقدك ومتهاون في جانب أنت تحرص عليه وتحافظ عليه، ولكسب الأصدقاء يجب ألا نكيل بالعتب دوماً إليهم، وألا نبوح بما تبوح به قلوبهم لنا، وعدم تصديق الشائعات المغرضة فيهم كي لا نخسرهم! ففقدان صديق فقد كبير، فليس كل يوم قد نجد صديقاً وفياً، فكل منا حبذا لو بحث عنه ومن لديه هذا الصديق أن يحافظ عليه وأن يحترمه، فلا علاقة تدوم بلا احترام، فالاحترام يجلب معه كل المشاعر الجميلة، ولا تستغرب من دقة وصف الآخرين لك؛ حين يصفونك بصفة صديقك. فكما قال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»، وموضوع ذو صلة أود أن أقول لأولياء الأمر: انظروا إلى من «يخالل» أبناؤكم الطلاب وبناتكم الطالبات، فربّ متفوق جعل زميله المتأخر دراسياً ناجحاً ومتفوقاً مثله، كذلك ربَّ منحرف عن دراسته كان وراءه منحرف قديم عن دراسته أيضاً فسحبه معه على طريقه، والأمر ذاته مع الفتيات، حفظ الله أبناءكم وبناتكم فلذات أكبادكم من كل عابث.

رسالة جديدة

كم هو رائع أن تسمع صوت رنة هاتفك المتحرك تبلغك باستلام رسالة جديدة، وحين قراءتك لها فإنك ترجو أن تكون من أحد الأصدقاء الحقيقيين أو من الأهل والأقارب.

فالتواصل أمر جميل قلة من يتقنون فن ممارسته مع أحبابهم والأكثر ندرة من يحملون الحب النقي إليكِ عبر رسائلهم. أتساءل: لم قد يحجم أحد ما عن إرسال رسالة رد تحمل كلمة لطيفة لمرسل الرسالة؟ أهي القسوة؟ أم أن هذه هي حال كثير من أفراد مجتمعنا، التكتم وعدم حب التعبير عن الذات؟ ولا أعتقد أن هذه الطبيعة مازالت في الأنفس، فالزمن تغير وحمل الناس إلى عصر جديد بأدواته المطورة في وسائل الاتصال كالرسائل الإلكترونية والنصية في الهواتف المتحركة وغيرها، ولكن بقي أمر واحد لن يتغيّر.. ألا هو طبيعة الجفاء التي لا ينتبه إليها صاحبها ولا يشعر بها، وغالباً ما تكون أسباب عدم فهم الطرف الآخر وسوء الظن وراء هذه القطيعة وعدم التجاوب مع الطرف المتواصل! فمن باب حفظ ماء الوجه يقوم صديقه بالانسحاب ويؤثر الابتعاد، وهكذا لتتراكم فجوات الجفاء وتصبح الحياة

قاسية وبلا معنى. ولكن إن جاء الإنسان من باب الواجب فهو مضطر إلى أن يرسل رسالة عزاء على الأقل «للصاحب المجفي»، ولا عليه أن ينتظر رنة رسالة جديدة من هاتفه المتحرك، لأن إراحة الضمير تغنيه عنها.

الرسائل الجديدة حلوة وتهفو لها الأنفس، ولكنها تصبح أجمل إن جاءت من مَن يقدّرون معنى المحبة والإخاء حق تقدير؛ وليس من سواهم أبداً، وإلا فأيّ معنى تحويه لنا وإن تزخرف بعذب العبارة؟

عاصمتنا الجميلة

خلال أعوام مقبلة وبرعاية كريمة من صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله والفريق أول سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي حفظهما الله ستشهد عاصمتنا الجميلة طفرة حضارية أجمل مما هي عليه الآن، وستصل إلى مستويات عالية من التطور والرقي والتفرّد، حيث ستُنجَز المرحلة الأولى لبناء «مدينة مصدر» في أواخر عام 2009 م، وتعتبر «مدينة مصدر» والتي ستقام في العاصمة أول «مدينة خضراء» في العالم، كما أنها تخلو كلياً من غاز الكربون والنفايات وتستخدم الطاقة البديلة فقط، أي أنها ستكون مدينة تمثل بيئة

مثالية من بين دول العالم، وجدير ذكره أنها تحتوي على مرافق تعليمية ترفيهية و«معهد مصدر للعلوم والتكنولوجيا».

أما متحف اللوفر الفرنسي الذي سيتم تشييد فرع منه في جزيرة السعديات التي تقع في عاصمتنا الرائعة فسيكون معلماً هاماً فيها وعاملاً هاماً لجذب الوجهات الثقافية والسياحية وذات الاختصاص بالتاريخ؛ وذلك لاحتوائه على قطع تاريخية نادرة ومهمة. كذلك سيجاور متحف اللوفر الفرنسي متحفا جوجينهايم وفرانك جري. وهنالك تغييرات حافلة بالتطورات الإيجابية التي يحتاجها سكان العاصمة مثل إنشاء سكك حديدية لتسيير القطار في أرجاء المناطق المكتظة بالسكان ما يخفف حاجتهم لقيادة سياراتهم والاكتفاء به كوسيلة لتنقلاتهم وكذلك جزيرة الريم التي تقع في العاصمة، حيث سيشهد العالم فيها انطلاقة مشروعها السياحي الضخم الذي أبهر الزوّار خلال عرضه في أرض المعارض في الفترة الأخيرة، ويشمل المشروع محميات طبيعية ومطاعم وفنادق ومتاحف وحوضاً للأسماك ومرافق حيوية أخرى. أما مكان العاصمة فسينتقل إلى منطقة خليفة «أ» التي تقع في مدينة أبوظبي أيضاً، وستشهد مدينة خليفة «أ» تطوراً مذهلاً حيث ستُبنى المرافق الحيوية المهمة فيها كالوزارات والهيئات الحكومية ومراكز الخدمات الحيوية المهمة

الأخرى، وكل ذلك لم يأتِ من فراغ بل من حصاد الأيادي السخية الخضراء والعيون الساهرة والعقول الدارسة اليقظة والضمائر المخلصة المحبة لهذه الأرض الطيبة «أرض زايد» رحمه الله وطيّب الله ثراه، فعملهم خطوة صريحة للوفاء بما قام به مؤسس الدولة أبونا الشيخ زايد رحمه الله، وامتداد لطموحاته ونظرته الحكيمة رحمه الله، فأبوظبي كانت جميلة في عهده ومازالت تزداد جمالاً ونضجاً كلما مرّ بها الزمن.

حفظ الله ولاة أمرنا ووفقهم لما فيه رفعة وعزّ ونهضة الوطن.

مراهقة وإرهاق

حين كنت أتجول في أحد المراكز التجارية في أبوظبي وجدت ثلاثة شبان في سن المراهقة يمرون من أمامي، وفي أثناء ذلك وجدتهم يتحدثون بصوت عالٍ، ويضحكون، فقلت إن هذا أمر خاص بهم، ولكن طريقي كان يؤدي إلى حيث يمشون، ما جعلني أتمكن من مشاهدة ما يفعلونه وهم أمامي، وجدتهم يعلّقون على كل من يمر من جانبهم، دون مراعاة لمشاعرهم ودون احترام لحرمة النساء حتى.

فحين مرّت مجموعة من الهنود سمعتهم يتحرشون بكلمات هندية مكسرة لأصحابها، ولاحظت كيف بدت ملامح الاستياء على وجوههم؛ وكان أحد الهنود قد انفعل وأراد أن يشتبك معهم لولا إمساك أحد أصحابه له، ثم جاء الرجل العربي المسكين يمشي مسرعاً فجاء صوتهم بالموال العربي الذي يبدو أنه ينتمي إلى بلده؛ ولكنه كان أقل انفعالاً ونظر نظرة متفاجئة سريعة لهم غير آبه، ثم جاءت الفليبينية المسكينة التي لم تسلم حتى من تعليقاتهم فبدؤوا بلفظ كلمات فليبينية مكسرة والتفتت بصدمة أيضاً، وأخيراً وليس آخراً مرّ مواطن بقربهم مسرعاً بطريقه فبدؤوا بغناء الأغاني المحلية الشبابية ولكنه «لبسهم تماماً وعلى قدر عقلهم أعطاهم»، ثم ماذا؟

تلك الفتاة بنت الوطن تمر بجانبهم ورأيتها تميل رأسها بغضب وتمضي، ولكني للأسف لم أسمع ما قالوا فقد أصبحوا بعيدين عن طريقي! صوتهم العالي جعلني أشاهد فيلماً مضحكاً لمراهقين على الهواء مباشرة، وحقاً موقفهم مضحك ومبكٍ! تخيلوا لو أن أحد هؤلاء الذين تحرشوا بهم أمسكهم وأبرحهم ضرباً دفاعاً عن النفس؟ ترى ما هو موقف ذويهم من ذلك؟ أعتقد أن كثيراً من المراهقين قد خرجوا من بيئة سليمة ولكن الرفقة السيئة و«اختيارهم» كأصدقاء لهم؛ من شأنه أن يدمرهم تماماً ويجرفهم إلى عواقب لا تُحمَد ومن الضرورة أن يستقصي الوالدان وذوو الأمر والمعلمون عن معرفة أصدقاء الأبناء والطلاب خاصة.

إنه أمر بسيط ويحتاج فقط إلى وقفة جادة مع الذات وقطع قرار صادق للمتابعة؛ فتأتي سريعاً لحظات الحب والاندماج والفهم مع الأبناء لكسر حواجز الخوف والتردد في أنفسهم، حين يصل الأبناء إلى سن «المراهقة» فمن الضرورة أن يواجه أولياء الأمر التغييرات الحاصلة عليهم بسعة صدر ورحابة فكر وصبر عميق، لأنها تؤثر جذرياً في تحصيلهم الدراسي والنفسي ومع المحيطين بهم، ولابد من الإرهاق لمواجهة هذا الأمر،

ولكنهم فلذة أكبادكم وجديرون بحبكم واهتمامكم وفهمكم لما يشعرون به من تغير مفاجئ.

ومراهَقة أيضاً

واستكمالاً لما بدأت بالحديث عنه، سأخبركم عن موقف مهم يجب على جميع أولياء الأمر الانتباه له؛ ألا هو «الإنترنت».

تخبرني إحدى صديقاتي أنها دخلت فجأة لترتب غرفة أخيها المراهق الذي ذهب لأداء الصلاة في المسجد؛ فإذا بالفضول يدفعها لتشاهد حاسبه المحمول شبه المغلق، وكان هول المفاجأة حينها، فقد اكتشفت مواقع غير لائقة خلقياً قد تصفحها أخوها، ولكنها أرجعت كل شيء إلى مكانه ولم تخبره عن مارأته في حاسبه الآلي.

لم تخبر أحداً، ولكنها بدأت في نصحه بشكل غير مباشر مع مرور الوقت وقد لاحظت تغيراً إيجابياً عليه. سألتني: «هل ما فعلته صائباً؟»؛ وأجبتها بأن ما فعلته عين الصواب فيجب أن يهتم كل منا بإخوانه وذويه، ويجب مساعدة والدينا في تحمل المسؤولية، فالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قال: «كلكم راعٍ وكل مسؤول عن رعيته».

لحظات أثيرة

لا يمكنني أن أنسى لحظة افتتاح سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة حفظه الله صحيفتنا هماليل في شهر يونيوعام 2008م.

لقد كانت لحظات أثيرة منحوتة في فكر كل من حضر حفل التدشين، وكان سموّه – رعاه الله مشجعاً وسبّاقاً في الحضور لمتابعة ودعم أي عمل وطني مشرف، وإن «هماليل» نتاج جهود وطنية بحتة، ومشروع غير ربحي وإنما مشروع ثقافي بالدرجة الأولى؛ تُروى به قرائح الشعراء والأدباء والطموحين من أبناء الوطن.

وعمل استقلالي بذاته وخاص، يمضي قوياً ومتمسكاً بتوصيات أولي الأمر بالاعتماد على النفس في مشاريع تخدم الوطن وثقة جدير بها. أتذكر كم كان المعرض الذي أقامه صندوق خليفة في هذا اليوم رائعاً ومكتظاً بالحضور والمطلعين على المشاريع التي يرعاها الصندوق، وكانت الصديقة والزميلة أمل المهيري حاضرة معي آنذاك لطالما تمنيت وجودها الصديقة والزميلة نسايم السادة الحبيبة «لولا ظروفها».

كما كان الشاعر حمد بن سويقات بضيافة جناح صحيفتنا

في المعرض، حيث استقبل مع الأخوين السيد خالد العيسى رئيس التحرير والسيد محمد الرمضاني سكرتير التحرير سمو الشيخ محمد بن زايد ولي عهد أبوظبي حفظه الله؛ حيث ألقى على مسمعي سموه إحدى قصائده وأثنى عليها.

لحظات سريعة ولكنها محطة مشرفة لنا في «هماليل» وخالدة وإشارة انطلاقة كبرى نحو نجاح هو عنوانه رعاه الله.

ما بعد الحزن

لعل المواقف غير السعيدة التي تواجهنا في الحياة؛ تكون سبباً في سعادتنا! فلولا الله تعالى ما انتبهنا إلى أسبابها التي أتت بما لا نحب، وانتباهنا يؤدي إلى تجنبها وبالتالي إلى جمع رصيد أكبر من صفاء الذهن والسعادة والخبرة أيضاً وهذا الأهم.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة«216».

من يمكنه اختيار مصيره؟ مصائرنا عند الخالق العظيم، ولكنه أهدانا كتابه المقدس المليء بالشرائع المهمة والحكم والأمور المهمة التي توجه نفس الإنسان إلى ما فيه الخير والصلاح له. فلا يمكننا أن نعلم الغيب وهوالله سبحانه، ولكن يمكننا أن نرضى بما قد كتبه الله لنا، وفي الآية العظيمة التي وردت أعلاه ما يؤكّد مدى ملاءمة ما هوأمامنا من خيار قد لا نحبه ولكنه في الواقع سريعاً ما نكتشف أنه صائب وملائم لنا، والعكس تماماً؛ فقد نختار أمراً ونتعلق به كثيراً ونكافح من أجله ولكن سريعاً ما يبدو لنا أو لاحقاً أنه غير ملائم لنا ولا يصلح البتة. لو التفتنا حولنا سنجد

أموراً كثيرة حدثت وما زالت تحدث، تؤكد لنا عظمة حقيقة الآية التي وردت آنفاً، صدق الله تعالى مالك الملك وبيده الخير وحده سبحانه، بعض التأمل في بعض الآيات العظيمة قد يغيّر مجرى حياتنا ما بين ليلة وضحاها، فأين التأمل في حياتنا؟

«حرمة hareem»

أستغرب من عنصرية بعض الرجال المثقفين حول هذا الكائن الحي الجميل «المرأة»، وفي لهجتنا المحلية عادة ما يقولها الرجال والنساء: «حرمة». وكثيرات من النساء العربيات يعتبرن كلمة «حرمة» معيبة وتنتهك حق المرأة، ويعتقدن أنها تدل على جهلها وقلة عقل فيها، بينما هي كلمة عادية وتعبر عن كيان المرأة بكل احترام ونضج في الشخصية لدينا في الخليج والإمارات خاصة، وطالما تطرقنا إلى كلمة «حرمة» ومفهومها لدى البعض في الوطن العربي؛ فمن الانسيابية في الحديث أن أصل بكم إلى موضوع الرفق بها، وفي حديث أشرف خلق الله محمد عليه الصلاة والسلام ما يوثّق أهمية هذا الجانب الإنساني في التعامل معها في قوله: «رفقاً بالقوارير» و«أوصيكم بالنساء خيراً».

أما قرأ هذا الحديث الشريف من حمل في كنفه مسؤولية امرأة؟ والمرأة أخت الرجل فهي الابنة والأخت وابنة الأخت

والأخ والزوجة والخالة والعمة ...؟ لو قرأ الحديث سيعلم كم هو مهم التعامل بلطف ورفق بالمرأة، فبجانب أنه أمر إنساني فله أجر طيب المعاملة. وإن تعنيف المرأة وإرهابها هو إرهاب لأسرة كاملة لأنها نصف المجتمع، فكيف لوكان بتجريحها ومحاربتها، فهذا أمر لابد من مراجعته والحد منه بشتى الوسائل المتوافرة. فكيف بضربها؟ أيملك إنسان عاقل قلباً وهو يشاهد رجلاً يضرب زوجته ضرباً مبرحاً كالخنق والجلد بأسلاك حديدية والدماء تنزف من جسدها بينما يشاهده طفله الذي لم يبلغ الرابعة؟

ومثل هذا الرجل عادة ما يكون مدمن خمر – أعزكم الله، أو مخدرات أو عاطلاً عن العمل، أو لديه عقد نفسية راسخة في نفسه تجعله يقوم بتصرفات عدوانية عشوائية دون تحكم فيها. هذه درجة عالية من الخطر على أفراد المجتمع، بل إنها تنهش في ركائز تأسيس الأسرة، فالطفل سيفعل ما فعله والده تماماً بزوجته في المستقبل، وتصبح نشأته غير سوية مليئة بالعقد النفسية والخوف والقلق، وهذا الشعور السلبي كفيل بأن يُخرِج لنا أحداثاً وأفراداً غير منتجين وعاطلين عن الدراسة والعمل ومجرمين أيضاً والعياذ بالله. أما الزوجة فتبقى الصوت المكبوت والقلب المكلوم الذي ينزف كل يوم في سبيل الحفاظ على الأطفال والأسرة، أتمنى أن

نجد حلولاً ناجعة لظاهرة ضرب المرأة والأطفال والأبناء، فهي غير منتشرة كثيراً بين المثقفين كما أعتقد؛ ولكنها متفشية بين كثير من الأسر، وماحدث للطفلة «نوف» دليل على ذلك.

إضاءة في الظلام

استوقفني مشهد إنساني حزين في فيلم أجنبي؛ ولا أعلم لِمَ سرَتْ العبرة في عيني حين رأيته. المشهد كان لرجل فقير طاعن في السن يجلس على أحد أرصفة شوارع مدينة نيويورك الأميركية، ولديه مجموعة من الضفادع الورقية التي قام بتركيبها ليجذب بها المارة إليه، وقد استوقفت ألعابه الورقية البسيطة فتاة شابة برفقة أحدهم، فسألها الفقير مناولاً إياها اللعبة الورقية: «ألا ترغبين في امتلاك إحدى هذه الألعاب الجميلة؟»

فتجيبه: «لا لدي الكثير من الدمى في المنزل ولا أعلم ماذا سأفعل بهذه؟»، فأجابها على الفور: «خذيها ولكن بشرط» فسألته عن الشرط فأجابها: «أن تصفي لي الآن ماذا يدور عند المقهى الذي يقع هناك»؛ فأجابته: «إنهم يستقبلون أعداداً من الزبائن وهناك قطة تلهوقربه».

فأكمل الرجل الوصف ثم سألها عن القطار الذي سيمر بعد قليل والأبنية المجاورة ومن يطوف بها، ثم تابعت الوصف السريع وهو يكمل ببعض الوصف، ثم أهداها اللعبة ولكنها شكرته ممتنعة عن ذلك، ولكنه أصرّ بابتسامة صافية راضية:

«خذيها يا ابنتي لقد جعلتني أشعر مجدداً بأني أبصر مثلكم؛ شكراً لك كثيراً»، أخذت الفتاة منه اللعبة وارتسمت علامات الحزن على وجهها فجأة فقد اعتقدت بأنه يبصر فعيناه لا تدلان على أنه أعمى! ثم قرأت العبارة المكتوبة على اللوحة المعلقة بجانبه: «لقد كنت أعمى وها أنا أبصر الآن».

الرجل كان أعمى ويقوم بصنع هذه الألعاب الورقية بحرفية رغم عماه؛ لا ليقبض أجر ما يقوم بعرضه! بل ليكون مقابل صنعه لها من المارة ما هو أغلى من كل ثمن بالنسبة إليه ألا هو وصف أحدهم لدقائق ما يدور حوله من المشاهد التي حُرِمَت عيناه من رؤيتها. يا له من ثمن وأيّ ثمن؟ ومن يشعر بقيمته حقاً سيزداد شعوراً به حين يقرأ مواقف أخرى شبيهة بموقف هذا الرجل الفقير.